مسوغات الهجر والصدود في شعر العذريين

(العباس بن الأحنف "ت ١٩٣هـ" أنموذجاً)

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عبد حسين الوطيفي
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

مسوغات الهجر والصدود في شعر العذريين (العباس بن الأحنف "ت١٩٣هـ" أنموذجاً)

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين عبد حسين الوطيفي
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب

المقدمة:

إن الوصل في التجربة العاطفية لأي عاشق هو الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من خلال علاقته بمحبوبته، بيد أن ذلك الوصل قد تعترض سبيله منغصات عدة لعل من أبرزها وأكثرها تأثيرا في نفسه هو (الهجر والصدود)، بوصفهما نقيضين يتحقق حضورهما إما بتأثير الوشاة والرقباء، أو الأهل والأصحاب، فضلا عن الزمان وتأثيره في أحوال المحبين، وغير ذلك.

ويعد العباس بن الأحنف (ت١٩٣هـ) أحد العشاق العذريين الذين خاضوا هذه التجربة وخضعوا لمعطياتها وآلامها، فراح يبث في شعره آهاته وحسراته، وما يعانيه من جراء هجر محبوبته وصدودها، وما ابتلي به من تبدل أحوالها.

من هنا جاء البحث لرصد حديث الشاعر عن هجر محبوبته وصدودها ومسوغاتها، وتأثيرهما فيه، ومن ثم السلوك الذي انتهجه لمواجهة ذلك الهجر والصدود.

توطئة:

عرف عن الشعراء العذريين أنهم قد عشقوا محبوبة واحدة استولت على قلوبهم وجعلتهم أسرى هواها، فهاموا بها ووقفوا حياتهم وشعرهم عليها، وظلوا على عهدهم معها فليس باستطاعتهم أن ينسوها أو يحبوا سواها، فهم ينتمون إلى ((مدرسة المحبين الموكلين بمحبوبة واحدة، ينظمون الشعر فيها، ولا ينظمونه في غيرها، وقلما يطرقون بابا من النظم غير باب النسيب))[١]، يبثون فيه لواعج الشوق، ولذعات الحرمان، وآلام فراق المحبوبة، وهجرها وصدودها، لأسباب متباينة.

لقد كان العباس بن الأحنف إمام الغزل العفيف والعشاق العذريين في العصر العباسي[٢] وصاحب قصة عشق لا تختلف تفاصيلها كثيرا عن قصص العشق في حياة الشعراء العذريين

الذين سبقوه[٣]، من هنا عمد إلى الوقوف عند الأسباب الكامنة وراء هجر محبوبته وصدودها ومحاولة رصدها، مبينا أن هذا الهجر والصدود لم يكن مفاجئا، فقد بدت له ملامح تفصح عنه، لعل من أبرزها ردّ محبوبته للهدايا التي كان يبعثها إليها، فيقول:

ردّتْ عليّ هديةً لو أنّها ... بعثتْ إليّ بمثلها لم أرْدُدِ

وتقولُ:

إني قد تركتُ غَوايتي ... فاذْهَبْ لشأنِكَ راشدا لمْ تُطْرَدِ[٤]

فضلاً عن أنها لم تعد تراسله كما هو عهدها، فقد انصرفت عن ذلك، بعد أن كانا يتبادلان الرسائل[٥]، بل إنها لم تعد تأبه لرسائله كثيراً، فلا تجيب عنها وتهملها، فيقول:

حتى متى أكتبُ أشكو الهوى ... ولا تَجُودينَ بِردّ الجوابْ؟

إنْ لم تُجيبيْ بما أشتَهي ... فَخبريني بوصُولِ الكِتابْ[٦]

وقوله:

أيا مَنْ لا يُجيبُ إذا كتبْنا ... ولا هُوَ يبْتدينا بالكتابِ

أما في حَقِّ حرْمتِنا لديكُمْ ... وحَقِّ إخائنا رُدُّ الجوابِ[٧]

إلى جانب أنها قد أخذت تعاتبه وتكثر من هذا العتاب[٨]، فقر في نفسه أن عتابها ما هو إلا مقدمة أرادت من ورائها الهجر والصدود فيقول:

أيُّها العاتِبُ الذي يتجنى ... كُلَّ يوْمٍ ليصْرِمَ الحبلَ مِنا

قد عَرَفنا الذي تُريدُ بهذا ... فائتِ ما شِئتَ راشِدا ما تَعنّى[٩]

وبذلك استيقن ابن الأحنف أن محبوبته قد هيمن عليها سلوك مغاير لما عهده منها، فأحوالها قد غدت متبدلة، ومواقفها متناقضة، مما ينبئ بتغير مشاعرها تجاهه، ولعل الذي عزز من يقينه هذا أن هناك من أفصح له عن نيتها وعزمها على تركه والعزوف عنه، فيقول:

دَعيني أمُتْ لم آتِ في الحُبِّ بِدْعَةً ... ولم أكُ فيما لُمتِني فيهِ أوْحَدا

وخَبَّرتِني عن هجرِها فنَعَيْتِ لي ... حياتي وكانَ الهَجْرُ للموْتِ مَوْعِدا[١٠]

ـ الهجر والصدود في اللغة والاصطلاح:

الهجر لغة: من هجر يهجر هجرا وهجرانا، إذا صرم وقطع، وهجر الشيء يهجره هجرا إذا تركه وأغفله وأعرض عنه، والتهاجر هو التقاطع(١١).

أما الصدود: فمن صدّ عنه يَصِدُّ ويَصُدُّ صداً وصدوداً، إذا أعرض بوجهه عنه، وصدّه عن الأمر منعه وصرفه عنه، والصدّ هو الهجران(١٢).

أما اصطلاحا: فهما آفة من آفات الحب التي تعترض سبيل العاشقين، وتنغص عليهم حياتهم(١٣)، وتتركهم في حزن وألم وشكوى وعذاب ومعاناة لا تنتهي إلا بلقاء المحبوبة ووصالها.

المبحث الأول

مسوغات هجر محبوبته وصدودها

١ـ البوح بحبها:

عُرِفَ العباس بن الأحنف بكتمانه لحبه، حتى يمكن أن يوصف بأنه شاعر الكتمان(١٤)، بل إنه لم يبح باسم محبوبته وإنما كان يكني عنها بأسماء مختلفة فهي (فوز)(١٥) و(ظلوم)(١٦) و(ذلفاء)(١٧) و(خلوب)(١٨)، وما ذاك إلا لدفع الأذى عنها وصرف الأنظار عن حقيقتها، والتحايل لذلك بشتى السبل(١٩)، بسبب من الوشاة والرقباء(٢٠)، وسعيهم الدائب للتفريق بينهم، فضلا عن أن الشاعر كان يرى أن أفضل أنماط الحب هو ذلك الذي يطوى ويستر فيقول:

فَنكْـتُمُ مـا يُخْفـي الضّـميرُ تَحفُّظـا وخَيْرُ الهوى ما كان يَخْفى ويُسْتَرُ(٢١)

ومع أن هذا الكتمان كان من آداب الحب لديه(٢٢)، إلا أن تلك الآداب ما لبثت أن تبدلت، ومظاهرها قد تغيرت، بعد أن أخذ الهوى والعشق منه كل مأخذ، فلم يعد قادراً على هذا الكتمان، حتى وإن جهد نفسه في سبيل ذلك، فيقول:

أُداري النـاسَ عمّـا بـي وأُخْـفيهِ فمـا يَخْفـى
وأشْـتاقُ فـلا يَعْلَـمُ إلا اللهُ مـا ألقَـى(٢٣)

وقوله:

يـدُلُّ علـى مـا بالمُحِـبِّ مـنَ الهـوى تَقلّـبُ عَيْنيـهِ إلى شَـخْصِ مـنْ يَهْـوى

وإنْ أضْـمرَ الحُـبَّ الـذي في فـؤادهِ فإنّ الذي في العينِ والوجْهِ لا يَخْفى[٢٤]

فقد بدأ الشوق يتأجج في نفسه، وتباريح الصبابة ترتسم عليه، وبدأت عيناه تخالف ما اعتاده من الصبر على العشق والإغماض عن المحبوب مرغما (تقلب عينيه إلى شخص من يهوى)، فراحت تتحرى ذلك المعشوق وتتتبع خطواته، بل إنها قد أخذتا في فضح ما طواه لسانه، فيقول:

لا جَـزَى اللّهُ دمْـعَ عينـيَّ خيْـرا وجَـزَى اللّهُ كُـلَّ خَيْـرٍ لِسـاني

نَـمّ دَمْعـي فلـيسَ يَكْـتُمُ شـيئاً ووجـدتُ اللسـانَ ذا كِتْمـان[٢٥]

فدموعه غدت شواهد على ما طوته نفسه من أحاسيس ومشاعر(نم دمعي فليس يكتم شيئا)[٢٦] وما صانه لسانه من أسرار ذلك الحب (ووجدت اللسان ذا كتمان)، أي أن الشاعر قد أصبح مترجحا بين حالين متناقضين (البوح / الكتمان)، فيقول:

لَـعَمْرُكَ مـا يَسـتريحُ المُحِـبُّ حـتى يَبـوحَ بأسـرارهِ

فقـدْ يكْـتُمُ المَـرْءُ أسْـرارهُ فتظْهَـرُ في بَعْـضِ أشـعارِهِ

وكِتمـانُ مـا اسْـتُودِعَتْهُ النفـو سُ لا شَـكّ خيـرٌ مِـنْ إظهـارِهِ[٢٧]

ومع أن راحته تكمن في الإفصاح عن حبه، والبوح به (يستريح المحب)، لما في ذلك البوح من راحة نفسية تكمن في التنفيس عن آلامه ومكابداته، ومشاعره المكبوتة التي أخذت تنوء بكاهله، وتنغص عليه حياته (فتظهر في بعض أشعاره)، إلا أن ما بدا من بوح قد تناثر هنا وهناك في شعره (الدموع / النظر إلى المحبوب) لم يكن منهجا قد اختطه لنفسه، وإنما كان سلوكا عابرا ولحظات ضعف، ما لبثت أن انقضت وتلاشت، وغلب الكتمان على نفسه من جديد؛ إذ لا ((ينبغي لمن يعشق أن يذيع أمره بين الناس، ولا أن يقول شعرا في صاحبته يشيع بينهم، و إلا كان قد الحق العار بصاحبته وأهلها وقبيلتها جميعا، وحق أن يحرم منها إلى الأبد))[٢٨]، بوصفه قد خالف ما تعارف عليه المجتمع، وأقرته الأعراف.

من هنا فإن البوح بحبه والجهر به لم يرضِ محبوبته، بل أثار سخطها وغضبها، فراحت تصد عنه، فيقول:

إلى اللهِ أشكو إنه موضعُ الشكوى فقد صَدّ عني بالمودةِ مَنْ أهوى

.....

تصُدّينَ عنّي أنْ شَكوْتُ صَبابتي ولو تفهَمُ الأُخرى تَحَمّلتِ الأُخرى[٢٩]

ولم يكن له من ذنب سوى الشكوى من الحب وتباريحه، وهو ذنب يمكن أن تغض الطرف عنه إذا ما أرادت ذلك، فيقول:

أتَحْسَبُ ذاتُ الخالِ راجيةُ رَبّا وقد قتلتْ صَبا يُجنُّ بها حُبّا؟

.....

وتعْتِدُّ ذنْبا أنْ أبوحَ بِحُبِها ولوْ قتَلتْني لا أعَدُّ لها ذَنْبا[٣٠]

وقوله:

أيا مُعْرِضا عنّي ولم أجْتَرِمْ ذَنبا سِوى أنّني أُبْدي وأُخفي له الحُبّا

أُيسخِطُكُم أنّي هَوِيْتُ وصالَكُم؟ فلا تَغضَي يا مُنْيتي، فلكِ العُتْبى[٣١]

ولكنها ـ فيما يبدو ـ كانت تتحرى منه السقطات والهفوات لتبادر إلى هجره، والانزواء بعيدا عنه، من دون أن تراعي ما انتابه من حبها، وما المّ به من عشقها.

٢ـ التدلل:

وهذا الضرب من الهجر ((لا يكون إلا من ثقة كل واحد من المتاحبين بصاحبه،...، فحينئذ يظهر المحبوب هجرانا ليرى صبر محبه))[٣٢] على ما يبدر منه من سلوك مغاير لما عهده منه و ما يتخذه من موقف تجاهه، وقد ابتلي العباس بن الأحنف بهذا السلوك من محبوبته، فراح يعبر عن ذلك بقوله:

أُوَملُكُمْ حتى إذا ما رَجعْتُمُ أتاني صدودٌ منْكم وتجنُّبُ

.....

فأصبحتُ مما كانَ بيني وبينكُمْ أُحدّثُ عنْكُمْ مِنْ لقِيتُ فيعْجَبُ

وقد قالَ لي ناسٌ تَحمّلْ دَلالها فكُلُّ صَديقٍ سِوْفَ يرْضى ويَغْضَبُ[٣٣]

فمن الواضح أن الشاعر قد امتلأت نفسه بالأمل تجاه من يحب (أؤملكم)، وأنها سوف تبادله بمثل تلك المشاعر الجياشة التي يكنها لها، ولكنه فوجئ بموقف مغاير (صدود، تجنب) لآماله، فراح يفصح للآخرين عن مكنون نفسه، وما انتابه من إحساس، ولعل مظاهر نقله لتلك الحال قد جعلت الآخرين يتعجبون (أحدث عنكم... فيعجب) مما آلت إليه حال محبوبته ولاسيما أنه لم يصدر منه ما يبث فيها الوجل أو النفور، فكان أن قرّ في نفوس هؤلاء الناس الذين أدار معهم حواره أن موقفها ذلك لا يمكن أن يكون صادرا إلا من تدلل منها (تحمل دلالها).

وقد لا يكون هناك أناس أصلا قد تحدث إليهم الشاعر؛ ذلك بأنه قد أشار في أكثر من مناسبة إلى أنه قد كتم أمر حبها عن الآخرين، ولم يصرح به لأحد[٣٤]، ومن ثم قد يكون هؤلاء الناس (معادلا موضوعيا) انتزعه من نفسه، أراد من ورائه إبراز معاناته وبث لواعجه إزاء تلك المرأة التي هجرته.

وهكذا راح يقول على لسانهم (تحمل) ليقينه من إمكان تكرار مثل هذا السلوك منها، بوصفه سلوكا طبيعيا (يرضى / يغضب) غالبا ما كان ينتاب محبوبته ويستهويها[٣٥]، مع ملاحظة أن ابن الأحنف قد سماها الصديق (فكل صديق)؛ ذلك بأن الصدق مزية تتحقق بصدق المودة والحديث، فضلا عن صدق القول المقرون بالعمل[٣٦]، وهو أمر غير متحقق تماما في مواقف من يحب[٣٧]، وعلى الرغم من كلّ ذلك، فإن ابن الأحنف كان يحدوه الأمل والرجاء في التي عشقها ((فالمحبوبة هي غاية المحب، فلا ينفعه دونها شيء، ولا يلهيه عنها أمر))[٣٨] مهما اشتمل عليه ذلك الأمر من مشقة وعناء.

فيقول:

ألا أسْعِدينـــي بالـــدّموعِ السّـــواكبِ على الوجْدِ من صَرمِ الحبيبِ المُغاضِبِ

.....

لمـــاذا أردتِ الصّـــرْمَ منّـــي ولم أكـــنْ ـــ كعهـــدِكُمُ بي ـ بـــالمَروقِ المُـــوارِب؟

وإنْ كـــان هـــذا الصّـــرْمُ منـــكِ تَدلّـــلاً فـــأهلاً وســـهلاً بالـــدلالِ المُخالِـــبِ[٣٩]

لقد هاجت عواطف الشاعر، وفاضت نفسه صبابة (أسعديني بالدموع) بعد أن لاحت له بوادر القطيعة، فراح يخفف من وطأة ذلك الصدود، من خلال التساؤل الذي وجهه

لمحبوبته وهو تساؤل مشروع طالما يراوده، ليقينه من أن سلوكه إزاءها لا يسوغ لها أن تتغير في سلوكها فهو لم يأت بما من شأنه أن يعكر صفو تلك العلاقة التي جمعتهم معا، أو يشي بتبدل مشاعره تجاهها (ولم أكن... بالمروق الموارب)، فقد انتهج سبيلا واحدا في حبها، لم يحد عنه، وإذا ما كان هناك من صرم فلابد من يكون له ما يسوغه، ولعل أقرب ما تناهى إلى نفسه أنها قد انتهجت سبيل الدلال ليس إلا (وإن كان هذا الصرم تدللا) وهو ما يرضيه و يأنس به ويحقق مبتغاه، (فأهلا وسهلا) على الرغم مما ينطوي عليه من الم وحسرة ومعاناة ؛ ذلك بأن العاشق ((رجل مغلوب على أمره، يعيش رهن آلامه وأوجاعه وسهره ودموعه))[٤٠] وليس له أن يترفع عنها بعد أن تغلغل الحب في وجدانه، وسلب لبه[٤١].

٣ـ الزمان:

غالبا ما تخضع المشاعر الإنسانية لتأثير الزمن وتقلباته، فمن فرح إلى حزن، ومن أمل إلى يأس، ومن عزّ إلى ذل وغير ذلك من المواقف التي قد تعترض سبيل الإنسان، وليس له إلا أن يقاومها أو يستسلم وينقاد لها، فهو ليس بصاحب للإنسان، وكثيرا ما يغدر به، من هنا فإن الشعراء على اختلاف ظروفهم وميولهم يتفقون على أمر واحد إزاء الزمن، وهو الخوف الشديد منه[٤٢]، وهو خوف له ما يسوغه، ولاسيما أنه قد تجاوز المعهود من تأثيره، ليصل إلى حدّ تغيير المشاعر، فيقول العباس بن الأحنف:

رأيْتُكِ مَرّةً تَهْوِيْنَ وصلي ... وأنْتِ اليومَ تَهْوِيْنَ اجتِنابي

وغَيّرَكِ الزّمانُ وكلُّ شيءٍ ... يَصيرُ إلى التّغيُّرِ والذّهابِ[٤٣]

فرسخ في ذهن ابن الأحنف أن التغير الذي طرأ على مشاعر محبوبته وأحاسيسها لم يكن ليحصل لولا تأثير الزمان (وغيرك الزمان)، الذي استحوذ عليها، وأثّر في مكنون نفسها فراحت تطاوعه، وتنقاد له، أسوة بكل شيء يخضع له (وكلّ شيء يصير إلى التغير والذهاب)، وهو كلام لا يخلو من حكمة أراد من ورائها الشاعر إقناع نفسه بأن الإنسان لا يستطيع مقارعة الزمان أو الإفلات من سطوته، وحبيبته ليست ببعيدة عن تلك السطوة.

والملاحظ أن الشاعر قد أشار إلى أن حبيبته قد كانت في كلا الحالين تهوى الفعل الذي تقوم به (تهوين وصلي / تهوين اجتنابي)، مما يبرز غلبة تلك الحال عليها، ورسوخها في ذهنها بسبب من أن الهوى هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه[٤٤]، وهكذا كان

(الوصل) مهيمنا عليها بتأثير الشاعر، ولكنه سرعان ما آل إلى (تجنب) وصدود بتأثير الزمان وجبروته (فهو يهيمن على كل المخلوقات من خلال قوته الأزلية والتي تدبر رخاء الإنسان أو شقاءه، وتقدر حياته أو موته)[٤٥]، وهو صابر قانع بما يجود عليه، من هنا راح الشاعر يكرر هذا المعنى تارة أخرى فيقول:

يُجَـــدَّدُ صَـــرْمُها في كُـــلِّ يَـــومٍ ولكـــنْ لا يَطـــولُ بـــهِ التَّمـــادي

.....

وكُـــنّا عاشِـــقيْنِ ذَوَي صَـــفاءٍ وَوَرْيٍ في الجّـــوانِحِ ذي اتّقـــادِ

وكُـــنا لا نَبيـــتُ الـــدّهْرَ حتـــى نكـــونَ مـــن اللّقـــاءِ علـــى اتّعـــادِ

فغيّرَهـــا الزّمـــانُ وكُـــلُّ شـــيءٍ يَصيـــرُ إلـــى التّغيُّـــرِ والنّفـــادِ[٤٦]

مبينا أن هجرها وصدودها هو أمر قد أدمنته، فصار ديدنها الذي تنتهجه، وتركن إليه، ولعلها قد وجدت فيه ما يغري النفس، ويشبع غرورها، ولاسيما أن من تهجره قد اعتاد منها هذا التطرف والنزوع، ووطن نفسه عليه، ليقينه من أنه نزوع مؤقت ما يلبث أن يتلاشى، بتلاشي أسبابه، (يجدد صرمها / لا يطول به التمادي) ؛ ذلك بأن الأصل في علاقتهم قائم على العشق والمودة ومداومة اللقاء(وكنا عاشقين ذوي صفاء / نكون من اللقاء على اتعاد)، ولكن الزمان قد أحدث شرخا في علاقتهم تلك (فغيرها الزمان)، ونغص عليهم واقع حياتهم.

ويبدو أن ابن الأحنف كان موقنا بأن ما آلت إليه حالهم هو أمر طارئ؛ لذلك نراه قد مال إلى استعمال الفعل (غيّر) ولم يستعمل الفعل (بدّل) مثلاً؛ لأن المشاعر والأحاسيس التي تكنها له محبوبته قد بقيت في نفسها ولم تمحَ آثارها، على الرغم من أنها قد شهدت انحرافا في مجراها، لكنه انحراف مؤقت سرعان ما يعود إلى جادته بعد زوال مسبباته، على حين أن الفعل (بدّل) قد يشي بزوال تلك العاطفة واضمحلالها، وهو ما لم يتحقق بينهما[٤٧]؛ إذ ظلت عواطفهما جياشة، ومشاعرهما متجددة، على الرغم مما انتابهم من نكبات وواجهتهم من عقبات.

٤ـ الحساد:

إن الكاشحين والحساد والرقباء والوشاة كل هؤلاء ليس لهم من هم سوى السعي

الدائب إلى تنغيص حياة المحبين[٤٨]، والعمل على إفشاء البغضاء فيما بينهم، أملا في تفريقهم أو الحيلولة دون لقائهم، وغالبا ما تنجح مساعيهم، إذا ما وجدوا آذانا تصغي لهم وتقتنع بأقوالهم، فيقول ابن الأحنف:

مُعـذّبَتي فِـيمَ الصُّـدودُ؟ ومـا الـذي ... أُفنّـدُ حـتى لا يكـونَ صُـدودُ؟

أصـدَّقتِ حُسّـاداً وكـذّبْتِ عاشِـقاً؟ ... ولـيسْ سـواءٌ عـاشِقٌ وحَسـودُ[٤٩]

ابتدأ ابن الأحنف قوله بـ (معذبتي) مما يظهر عمق المعاناة التي يرزح تحت وطأتها، والألم الذي استحوذ عليه، فراح يفصح عن كوامنه، وما بدا من حبيبته من مواقف مضطربة تجاهه، والكفاح المرير الذي يخوضه من أجل إرضاء ميولها ونوازعها، فلا يجد ما يستطيع به إقناعها، بعد أن ضاقت به السبل (ما الذي أفند؟)، ولاسيما أن صدودها عنه كان نتيجة معادلة غير متكافئة الطرفين أحدهما (حاسد) والآخر (عاشق)، يبدو فيها رجحان كفته أكثر قربا وإقناعا من غيرها؛ لأن الذي يرتضيه المنطق والعقل هو الميل إلى العاشق من دون سواه (ليس سواء عاشق وحسود)، فلا مسوغ أصلاً - بحسب رأيه - للموازنة بين ما يصدر عن كلّ منهما، ولكنه فوجئ بموقف مغاير لما كان يأمله، موقف رُجّحت فيه كفة الحسود وصُدّقت روايته، ولعل الذي زاد في حيرته أن محبوبته لم تكتف بذلك فقط، بل راحت تكذبه (أصدقت حسادا وكذبت عاشقا؟) وتنساق وراء أحاديث هؤلاء الحساد، وتركن إلى ما يدّعون.

٥ـ الملل:

ويعد الملل ((من الأخلاق المطبوعة في الإنسان، وأحرى لمن دهي به ألا يصفو له صديق ولا يصح له إخاء، ولا يثبت على عهد، ولا يصبر على إلف))[٥٠]، بعد أن بدت منه ملامح ذلك الملل، ولعل هذه الصفة أكثر ما تكون ((في المحبوبين فهم بالجملة أهل التجني... والتعرض للمقاطعة))[٥١]، والهجر والصدود لمن يعشقهم، وقد عبر العباس بن الأحنف عن ذلك بقوله:

هَجـرْتِنـا يـا مَـلولُ ... والهَجْـرُ مُـرٌّ ثَـقيلُ

إنّـي بِحُبّـكِ - عَمَّـنْ ... ظَنَنْـتِ بي - مَشْـغولُ[٥٢]

فقد بين الشاعر أن حبيبته لم تهجره لمسوغ، وإنما كان الدافع الرئيس وراء ذلك هو

شعور بالملل قد انتابها، فتبدلت مشاعرها من الألفة والتواصل إلى النفور والفتور، من هنا نراه قد عمد إلى مناداتها باستعمال (الياء) التي ينادى بها البعيد (يا ملول)، فضلا عن أن المتكلمين كانوا ((يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، أو للإنسان المعرض عنهم الذي يرون أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد))[٥٣]، وما ذاك إلا لتنبيهه ولفت انتباهه وشده إليهم، فكأنه أراد أن يشعرها بالبعد المكاني الذي أخذ يفصل بينهما، إلى جانب البعد العاطفي الذي هيمن على مشاعرهما، ولاسيما أنه يتحدث هنا عن هجرها، وما انتابه من جراء ذلك الهجر من الم وحسرة، وما تجرع من مرارته (الهجر مرّ ثقيل).

وعلى الرغم من بعدها عنه، بيد أن حبها قد ظلّ حاضرا أبدا في ذهنه، فهو هاجسه وشاغله وليس له أن يتحول عنه أو يرتضي غيره بديلا (إني بحبك... مشغول)، بسبب من أنها قد ملكت عليه قلبه ؛ لأن ((من شأن الحب أن يمتلك القلوب)) [٥٤]، ويخضعها لسلطانه، فيجد المحب نفسه مشدودا إلى من أحب منقادا له، ولم يكن ابن الأحنف ببعيد عن ذلك.

إن مواقفها تلك لم تحمله على اليأس التام منها، ولم تقتل فيه الرغبة والترقب، بل قادته إلى خلاف ذلك، ولعل الذي سوغ له مثل هذا الموقف هو ما امتلأت به نفسه من أمل يوصله إلى غرضه، ويبلغه مرامه، فراح يغريها بإمكان تحققه، فيقول:

مَـــلّ فمـــا تَعْطِفُـــهُ رَحْمَـــةٌ ... واتّخَـــذَ الـــعِلاّتِ أعْوانـــا

.....

لا تيأسَـــنْ مـــن وصَـــلِ ذي مَلّـــةٍ ... يُظهِـــرُ بعـــدَ الـــوصْلِ هِجْرانـــا

يَمَـــلُّ هـــذا مِثْـــلَ مـــا مَـــلَّ ذا ... فيرجِـــعُ الـــوصلُ كمـــا كانـــا[٥٥]

ولم يكن ذلك الأمل سوى معاودة وصال من يحب والإقبال عليها، والفوز بها مرة أخرى، رائده في ذلك مسوغ هجرها نفسه (الملل) / (لا تيأسن من وصل ذي ملة)، مما ينبئ بأن ابن الأحنف قد خبر طبيعة محبوبته المتفاوتة، ومزاجها المتقلب، وسرعة شعورها بذلك الملل الذي أخذ يتغلغل في وجدانها، ويهيمن على مشاعرها، ويتحكم بسلوكها، مما حدا بها إلى الرزوح تحت وطأة حالين متناقضين، ساقها إليهما شعور واحد تملكها ولم يفارقها هو (الملل)، فكان أن قادها ذلك إلى الهجر تارة (الملل / الهجر) وإلى الوصل تارة أخرى

(الملل / الوصل)،مما يشي بأنه شعور طارئ لا يمكن الركون إليه (يملّ هذا مثل ما ملّ ذا) أو اليأس ممن ينتابه.

المبحث الثاني

مسوغات هجره لمحبوبته وصدوده عنها

ومثلما تحدث العباس بن الأحنف عن هجر محبوبته وصدودها عنه ومسوغات ذلك، راح يتحدث أيضا عن هجره لها، مبينا المسوغات التي حدت به إلى مقابلة سلوكها بالمثل، على الرغم من عدم قدرته على مجاراتها فيما صدر منها من صدود فيقول:

هَجَرْتُمْ ولم نَقْدِرْ على ما قَدَرْتُمُ عليهِ وأنتم تَرقُدونَ ونَسْهَرُ[٥٦]

ويبدو أن عواطفه الوجدانية العارمة التي يكنها لصاحبته قد هيمنت على قلبه وتملكته كليا، فيقول:

عرضتُ على قلبي الفراقَ فقالَ لي: مِن الآن فايئَسْ - لا أغُرَّكَ - من صَبْرِ

إذا صَدّ من أهْوى وأسْلمَني العَزَا فَفُرْقةُ من أهوى أحَرُّ من الجَمْرِ[٥٧]

والملاحظ أن الشاعر قد وجه خطابه إلى قلبه وأخذ يحاوره (عرضت على قلبي الفراق) أي أنه شخص هذا القلب وأدار معه حوارا تتبدى فيه الحال النفسية المتوترة التي يعيشها[٥٨]، فضلا عن أنه قد أسبغ عليه بعض الصفات الإنسانية التي من شأنها أن تأنسنه وهي (الصبر) بوصفه سمة إنسانية أخذ الشاعر يعزوها إلى قلبه (فايئس من صبر)، مما يشي بأن قلبه لم يعد يرعوي له ويخضع لسلطانه، بل أخذ يختار ما يناسبه ويخالف رغبة صاحبه[٥٩]، بسبب من أن صدود المحبوبة ـ كما يظن ـ هو أقل تأثيرا وإيلاماً - على الرغم من شدته - له من مفارقته لها ؛لأن الفراق سيكون عندئذ صادرا منه وهو غير قادر على فعل ذلك (ففرقة من أهوى أحرّ من الجمر).

بمعنى أن ابن الأحنف أراد أن يشعرنا بأن قلبه - الذي اتخذه معادلا موضوعيا لنفسه - يمتلك من الصبر قدرا يكفي لتحمل صدّ المحبوبة وهجرها له[٦٠]، لكن هذا القدر - في الوقت نفسه - لا يؤهله ليكون هو المبادر إلى فراقها[٦١]، وفي كلا الحالين يبقى الحب والعشق رائدا لموقفه (صدّ من أهوى / ففرقة من أهوى) وهذا دليل على أن الحب هو توجه لا

إرادي وأنه (يستولي على النفس بجملتها فتخضع له وتمتلئ به حتى لا يبقى لغيره فيها مجال)[٦٢]، يمكن أن يزاحمها.

ويبدو أن هذا القدر من الصبر الذي تحدث عنه الشاعر[٦٣] كان يهيج نفسه ويقلقها؛ لذا وجدناه يقف عنده مرة أخرى فيقول:

إذا مـــا رُمْـــتُ هجـــرَكُمُ يَكـــادُ القلْـــبُ ينْفَطِـــرْ
أمـــا واللهِ لـــو أنّـــي علـــى الهجْـــران أصْـــطَبِرْ
إذاً لأرحْـــتُ عَيْنـــا قَـــدْ أطـــالَ عذابَهـــا السّـــهَرْ[٦٤]

فقد بين أن الهجر إذا ما وقع منه فإنه سيتسبب له باللوعة والألم، فضلاً عن أنه سبب رئيس في أن يجافيه النوم و يقضّ مضجعه السهر وهو ما لا يستطيع تحمله.

وليس من المعتاد أن ينفطر القلب (يكاد القلب ينفطر)، لكن الوضع النفسي الممزق للشاعر جعله يتوسل بالاستعارة لبيان ما ستؤول إليه حاله إذا ما رام هجر صاحبته(إذا ما رمت هجركم).

ومما لا شك فيه أن الهجر له أثر في نفسه (الهجر ـ يفطر القلب)، (الهجر - يطيل السهر) بيد أن هذا الأثر يمكن مغالبته وتجاوزه إذا ما امتلك مزية تؤهله لذلك، وما تلك المزية سوى (الصبر)،فالصبر سيحقق له غايتان الأولى سكون مشاعره المتوهجة وأحاسيسه المتهيجة تجاه محبوبته، والثانية أنه سيريحه مما المّ به من مكابدة السهر ونوازعه (لأرحت عينا أطال عذابها السهر)،أي أن هاتين الغايتين أصبحتا رهنا بصبره على الهجر (لو أني على الهجران أصطبر) الذي استحال أمرا ممتنعا عليه، ومستعصيا استحضاره؛ لذا وجدناه يتكئ على (لو)[٦٥] لبيان هذا الامتناع، مع ملاحظة أنه قد استعمل الفعل (أصطبر) للدلالة على رغبته في طلب ذلك الصبر والسعي الحثيث لبلوغه[٦٦].

وعلى الرغم من كلّ ذلك فإن ابن الأحنف أراد أن يخوض تجربة الهجر تلك وأن يكون هو البادئ بها، واقفا عند مسوغاته التي من أهمها:

١ـ المقابلة بالمثل:

لعل أول شيء أراده ابن الأحنف من هجر محبوبته هو إشعارها وتنبيهها إلى عمق المعانات وشدة الألم الذي ينجم من جراء الهجر، فيقول:

كَتَبَــتْ بِــأنْ لا تَأتِنـــي فَهَجَرْتُهــا لِتَــذُوقَ طَعْــمَ الهجْــرِ ثُــمَّ أُعــاوِدُ[٦٧]

والملاحظ أن الشاعر قد أشار إلى أن وسيلة التواصل مع محبوبته إنما كانت بوساطة رسالة قد حملت بين طياتها بوادر البعد بينهما (كتبت بأن لا تأتني)، فقابلها بالمثل (فهجرتها) ليشعرها بمرارة ذلك الهجر والصدود وعذاباته التي طالما ابتلي بها ورزح تحت وطأتها [٦٨]، متوسلا بالاستعارة (لتذوق طعم الهجر) ؛ ذلك بأن الهجر لا طعم له، ولكن يمكن أن تستشعر مكنوناته النفسية، ومظاهره الجسدية بما يوقعه بصاحبه من ألم ومكابدة تتبدى مظاهرها عليه.

٢ـ الملل:

ومثلما هجرته محبوبته بسبب من مللها، فإن الشاعر قد هجرها هو أيضا بسبب من ذلك الملل، فيقول:

تَمـــــوتُ النفـــوسُ بِآجالِهـــــا ونفْسِـــي تَمـــوتُ بِغـــيرِ الأجَـــلْ

أُعَـــــذّبُ نفســـــي بِهجْرانِـــــها أخـــافُ إذا زُرْتُـــــها أنْ تَمَـــلْ[٦٩]

وعلى الرغم من أن هجره قد اقترن بالألم والحسرة، بيد أنه قد ارتضى لنفسه تلك المعاناة لئلا يدبّ الملل إلى نفس محبوبته ويهيمن عليها، ومن ثم نراه قدم نفسه قربانا بين يدي الهجر وعذابه (نفسي تموت / أعذب نفسي)، فأصبح الهجر معادلا للموت إنْ لم يكن هو الموت نفسه[٧٠]، على أن الموت قد يكون أكثر راحة من الهجران ؛ذلك بأن الميت يدفن فيستريح من العذاب، أما المفارق لحبيبه فيبقى العذاب مهيمنا عليه، ومكنونا في نفسه.

ومع كلّ هذا العذاب الذي اعترى الشاعر إلا أن الملل قد أخذ سبيله إلى نفس محبوبته، فلم يجد بدا من هجرها، فيقول:

مـــا أراني إلا ســـأهْجُرُ مَـــنْ لـــيـْ ـــسَ يَرانِـــي أقْـــوى علـــى الهجـــران

مَلّنـــــي واثقـــا بِحُسْـــنِ وفائـــي مـــا أضَـــرَّ الوفـــاءَ بالإنْســـان[٧١]

مبينا أن السبب الرئيس الذي حدا بها إلى سلوك هذا النهج (الملل) هو ثقتها بمشاعره وأحاسيسه تجاهها (واثقا بحسن وفائي)، وأنه مهما بدر منها من مواقف أو فعال فإنه سيبقى محافظا على عهد الحبّ والوفاء الذي جمع بينهما في جميع الأحوال[٧٢]، بخلاف ما شاع

عنها وعرف[٧٣].

لقد كان مللها من أسباب عدم التواصل بينهما، ومن ثم عزوف الشاعر عن رؤيتها، فيقول:

إنـــــي لَتَمْـــــنَعني مـــــلالتُكُمْ مِـــنْكُمْ ومـــا لـــي عـــنْكُمُ صَـــبْرُ

ومُـــــحدِّثٌ نفســـــي بِهَجْـــــركُمُ إنّ المَلـــــولَ دَوَاؤُهُ الهَجْـــــرُ[٧٤]

بيد أن هذا العزوف قد اصطدم بحال طالما تملكته وهي الشوق والحنين لمحبوبته، وعدم القدرة على فراقها (وما لي عنكم صبر)[٧٥]، وهكذا وجد نفسه مترجحا بين حالين لا يستطيع منهما خلاصا هما الفراق والحنين (لتمنعني ملالتكم منكم / ما لي عنكم صبر)، لكنه أراد أن يغلبّ أحدهما على الآخر، فراح يحدث نفسه بهجر محبوبته وفراقها، ليقينه من أنْ لا سبيل إلى خلاصها مما غشاها من الملل إلا بذلك الهجر (إن الملول دواؤه الهجر)،علّها تثوب إلى رشدها وتعود عن غيها وتواصله.

٣ـ إرضائها:

يبدو أن ابن الأحنف كان حريصا على إرضاء محبوبته بشتى الصور، والعمل على تحقيق مطالبها أنى تكن تلك المطالب، فيقول:

ألا كتبـــتْ تَنْهَـــى وتَـــأمُرُ بـــالهجْرِ فقلـتُ لها: يـا ليْـتَ قلبَـكِ فِي صـدرِي

سـأهجُرُ كَـي ترْضَـي وأهلِـكَ حَسْـرةً وحسْبيَ أنْ ترضَي ويُهلِكُـني هَجْـري[٧٦]

والملاحظ هنا أن خطابها لم يكن مباشرا، وإنما عمدت إلى وسيلة أخرى تتبدى فيها ملامح الترفع والسطوة والثقة بالنفس (كتبت تنهى وتأمر)، وامتلاكها لزمام الأمور، مما يبرز حقيقة يعيشها الشاعر وهي انقياده التام لها، والأمل في نيل رضاها (سأهجر كي ترضى / وحسبي أن ترضى)، ومن ثم كان هجره استجابة طبيعية على الرغم مما يصاحبه من معاناة (أهلك حسرة / يهلكني هجري)، وبذلك غدا الهلاك والحسرة حليفيه اللذين لا مناص منهما، والرضا حليفها الدائم الذي أباح لها أن تنهى الشاعر عن زيارتها، وتأمره بهجرها، وتجعله يخوض كفاحا مريرا في سبيل إرضاء ميولها ونوازعها، فيقول:

تَقرَّبْـــتُ بالإحســـان منـــها فَزادَنـــي بِعـــادا فمـــا أدْرِي بِمـــا أتَقـــرَّبُ

تَجنَّبْـــتُكُمْ لا عـــن قِلـــىً لِوصَـــالِكُمْ ولكـــنْ لِيُـــرْضيكِ القِلَـــى والتجنُّـــبُ[٧٧]

لقد أصبح الشاعر يعيش في حيرة وقلق نفسي ممزق فما يدري أي سبيل يسلك، فسعيه إلى التقرب من حبيبته قد جلب عليه مشقة وأسى لم يكن يتوقعه بعد أن أخذت تمتنع عليه وتأبى وصاله، فخالف التقرب ما كان يأمله منه، وغدا سببا للبعاد أكثر من كونه سبيلا للوصال (تقربت / فزادني بعادا)، ومن ثم لم يجد الشاعر بدّاً من أن يعمد إلى وسيلة أخرى وهي هجر المحبوبة لإرضائها (تجنبتكم / ليرضيك القلى والتجنب)،أي أن هجره لم يكن هجر مبغض كاره بل هجر محب طائع منقاد، بدا له أن بعده عن المحبوبة هو أكثر تأثيرا فيها،وأشد جلبلا لمشاعرها تجاهه.

٤ـ الكاشح:

ومن المسوغات التي حدت بابن الأحنف إلى هجر محبوبته هو الكاشح المبغض الذي لا يروق له صفاء الوداد بين المحبين وتعاهد المحبة فيما بينهم، فيقول:

اللّهُ يَعْلَمُ ما أردتُ بِهَجْرِكُمْ ... إلا مُصانَعَةَ العدوِّ الكاشِحِ

وعَلِمْتُ أنَّ تباعُدِي وتَستُّرِي ... أوْفَى لِوَصْلِكِ من دُنُوٍّ فاضِحِ[٧٨]

ولاسيما أن هؤلاء يظهرون للناس ودّا ومحبّتا بخلاف ما تنطوي عليه سرائرهم من اللؤم والكره، والعمل الدائب على إيقاع الفرقة بين المحبين، وتقويض أواصر الحبّ التي تجمع بينهم ومن ثم حرص الشاعر على مجاراتهم وإدخال السرور إلى نفوسهم (مصانعة العدو الكاشح) بما يشيعه من هجر لمحبوبته، وما يفشيه من بعاد عنها، غالبا ما كان يستهوي هؤلاء الكاشحين ويرضي نوازعهم.

أي أن هذا البعد قد اتخذه ابن الأحنف وسيلة للإبقاء على حبهم، والحرص على دوام أواصره والتشبث به، فيقول:

سأهْجُرُ إلفي وهِجْرَانُنَا ... - إذا ما التَقَيْنا - صُدودُ الخُدودِ

كلانا مُحِبٌّ ولكنَّنا ... نُدافِعُ عن حُبِّنا بالصُّدودِ[٧٩]

فهو هجر مصطنع قد بادر إليه مطمئنا إلى نتائجه (وهجراننا صدود الخدود)، لما قرّ في نفسه من أن مشاعرهم وأحاسيسهم لم تتلاشَ بل ظلت متأججة متجددة (كلانا محب).

خلاصة البحث:

يعد العباس بن الأحنف (ت ١٩٣هـ) أحد العشاق العذريين الذين خاضوا تجربة الهجر والصدود وخضعوا لمعطياتها وآلامها، فراح يبث في شعره آهاته وحسراته، وما يعانيه من جراء هجر محبوبته وصدودها، مبينا أن ذلك الهجر لم يكن مفاجئا له، فقد سبقته بوادر توحي به منها ردّ هداياه، والعزوف عن مكاتبته فضلا عن الإكثار من معاتبته، من هنا أراد الشاعر الوقوف عند المسوغات التي استندت إليها في هجره ومنها (البوح بحبها، التدلل، الزمان، الحساد، الملل)، ونتيجة لما انتابه من آلام وحسرات من جراء ذلك الهجر، عمد هو الآخر إلى هجرها والصدود عنها - على الرغم من صعوبة ذلك عليه - ليشعرها بقسوة الهجر ومرارة الصدود، فضلا عن بيان مسوغات الهجر والصدود الذي بدر منه التي من أهمها (المقابلة بالمثل، الملل، إرضائها، الكاشح).

Abstract

Al- Abbas bin Al- Ahnaf (d.193A.H) is considered one of the Oudhiry lovers who had passed the experience of desertion and disaffection and suffered its sadness and pains. His poetry carried his regrets and sorrow where he had explained, within his poetry, that this disaffection had not surprised him, he had a previous feeling resulted from rejecting his gifts, neglecting his messages and letters and the over blaming. Hence the poet attempted to reflect the justifications of her desertion and disaffection such as (revealing her love, flirtation, time, envois and boredom). As a result of his sorrow and sadness, in his turn, he had decided to desert her though this would be so hard and difficult for him, revealing the justifications of his desertion and disaffection such as (reciprocation, tedium, satisfy her and feeling malice).

هوامش البحث

(١) جميل بثينة: ٥.

(٢) ظ: العشاق الثلاثة: ١١٠.

(٣) وتتضمن هذه القصص الحديث عن العشق والعفة واللوعة والحرمان. ظ: الحب المثالي عند العرب: ٣، اتجاهات الشعر في العصر الأموي: ٤٢٧. فضلا عن صدود المحبوبة وهجرها للحبيب، خشية الأهل والرقباء والوشاة أو بتأثير المجتمع وقيمه في نفوس هؤلاء العاشقين.

(٤) ديوان العباس بن الأحنف: ٨٨.

(٥) م. ن: ٣٤، ٤٠، ٤٦، يبدو أن العباس بن الأحنف كان مدركا أن انصراف المحبوبة عن مراسلة من تحب هو أحد مقدمات الهجر، فأخذ يبين لمحبوبته أن انصرافه عن مراسلتها لم يكن بسبب من رغبة في هجرها والصدود عنها، وإنما كان محاولة للتستر، وصرف الأنظار عنهما، فيقول:

لَعَمْـــريَ مـــا حبســـي كتـــابيَ عـــنكُمُ ... لهجـــرٍ ولكـــن كثـــرةُ الرســـلِ تفضـــحُ

وان كنـــتُ لم أكتـــبْ إلـــيكم فإنمـــا ... فـــؤادي إلـــيكم حـــينَ أُمســـي وأصـــبحُ

م. ن: ٧٣.

(٦) م. ن: ٣٠، وظ: ٢٧٦.

(٧) م. ن: ٤٨، وظ: ٢٢، ٣٧، ٥٠، ٨٩،

(٨) ظ: العتاب في شعر العباس بن الأحنف ـ دراسة في المضمون (بحث): ٢٥ ـ ٢٦.

(٩) ديوان العباس بن الأحنف: ٢٦٨. ورد في الديوان كلمة (فائت) والصواب (فأت).

(١٠) م.ن: ٩٢.

(١١) ظ: الصحاح، لسان العرب، تاج العروس مادة (هجر).

(١٢) ظ: م. ن: مادة (صدّ).

(١٣) ظ: طوق الحمامة في الألفة والألاف: ٦٦، الحب في التراث العربي: ٦٤.

(١٤) ظ: العباس بن الأحنف: ١٠٣، لقد ورد في شعره ما يدل على سعيه الدائب لكتمان حبه فيقول:

ولقـــــد دفـــــنتُ هواكُـــــمُ ... مـــــني بمقـــــبرةِ القلـــــوبِ

وكتمـــــتُ حُبـــــكِ جـــــاهداً ... ورعيـــــتُ غيبـــــكِ بالمغيـــــبِ

ديوان العباس بن الأحنف: ٤٥.

وقوله:

وإذا سُـــئلتُ عـــن التـــي شَـــغفتْ ... قلـــبي وكلـــتُهُم إلى أُخـــرى

مـــا زلـــتُ أكذبُهُـــمْ وأكـــتمُهمْ ... حـــتى شُـــهرتُ بغـــيرِ مـــن أهـــوى

م. ن: ٣، و ظ: ١٦٩، ٢٠٦ ـ ٢٠٧، ٢١١.

(١٥) ظ: م. ن: ١٤٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٩.

(١٦) ظ: م. ن: ٢٠، ٤٣، ٢٢٠، ٢٢٤.

(١٧) ظ: م. ن: ٢٤،٢٣، ٢٦٣.

(١٨) ظ: م. ن: ١٧٧.

(١٩) لقد أباح العباس بن الأحنف لنفسه الكذب ليدفع الأذى عمن يحب، فكان أن ادعى حب غيرها فيقول:

سأسْتُـــرُ والسَّتـــرُ مـــن شـــيمتي ... هَـــوى مـــن أحِـــبُ بمـــن لا أُحِـــبْ

ولابـــدّ مـــن كَـــذِبٍ فـــي الهـــوى ... إذا كـــان دَفْـــعُ الأذى بالكـــذبْ

م. ن: ٤٢.

(٢٠) كان العباس بن الأحنف يصف فوزا ـ أحيانا ـ بغير صفاتها، ويسمها بغير سماتها، بسبب من الوشاة والرقباء، فيقول:

أقـــــولُ بالخـــــدّ خـــــالٌ حـــــينَ أنعتُهـــــا ... خـــــوفَ الوُشـــــاةِ ومـــــا بالخـــــدّ مـــــن خـــــالِ

م. ن: ٢٢٣، و ظ: ٢٧٤.

(٢١) م. ن: ١٣٨.

(٢٢) ظ: اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري: ٢٢٩.

(٢٣) ديوان العباس بن الأحنف: ٣، و ظ: ٢٧٢.

(٢٤) م. ن: ٣.

(٢٥) م. ن: ٢٨٢، ويبدو أن دموع العباس بن الأحنف كانت تنغص عليه كتمانه؛ إذ لا يستطيع أن يكفكفها ويمنعها من الانهمار كلما لاحت له محبوبته، فيقول:

هَبُـــــوني أغُـــــضُّ إذا مـــــا بَـــــدتْ ... وأمـــــلِكُ طـــــرفي فـــــلا أنظـــــرُ

فكيـــــفَ اســـــتتاري إذا مـــــا الـــــدّموعُ ... نطقـــــنَ فـــــبُحْنَ بمـــــا أُضـــــمِرُ؟

م. ن: ١٤٥.

فضلاً عن أن ما كان يبكيه ويهيج دموعه هو خشيته من صدودها، ولاسيما بعد أن لاحت له بوادر هذا الصدود فيقول:

قـــــد كنـــــتُ أبكـــــي وأنـــــتِ راضـــــيةٌ ... حِـــــذارَ هـــــذا الصـــــدودِ والغضـــــبِ

.....

إنْ دامَ ذا الهجـــــرُ يـــــا ظلـــــومُ - ولا ... دام - فمـــــا لي في العـــــيشِ مـــــن أرَبِ

م. ن: ٣٣.

ويبدو أن خشيته تلك قد تحققت، فقد هجرته محبوبته مما أثار شجونه وبكاءه، فيقول:

وإذا عصانـــــي الـــــدمعُ فـــــي ... إحـــــدى مُلمّـــــاتِ الخُطـــــوبِ

أجـــــريتُه بـــتذكُـــــري ... مـــــا كـــــانَ مـــــن هجـــــرِ الحبيـــــبِ

م. ن: ٣٧.

(٢٦) يرى ابن الأحنف أن الأصل في العشق هو الكتمان والصبر على تباريح الشوق، ولكن دموع العين قد تخالف أحيانا صاحبها فلا يستطيع لها كتما، ومن ثم يلتمس له العذر بعد أن غالبته تلك الدموع، فيقول:

إذا غلـــــبَ الصّـــــبرَ البكـــــاءُ وهُيّجـــــتْ ... تباريحُـــــهُ فـــــالصبُّ بالـــــذّكرِ يُعْـــــذرُ

م. ن: ١٣٨.

(٢٧) م. ن: ١٥٠.

(٢٨) اتجاهات الشعر في العصر الأموي: ٤٣٦.

(٢٩) ديوان العباس بن الأحنف: ٢.

(٣٠) م. ن: ٤٧، غالبا ما يبدو في شعر العباس بن الأحنف إحساس بالذنب تجاه محبوبته، وإن لم يكن مذنبا حقيقة، ولكنه شعور كان يراوده ويستبد به، من هنا كان يطالبها بالصفح والغفران، وكأن ذلك الشعور كان يرضيها، ويزيد في سطوتها عليه، فيقول:

ورضيتُ منكِ بدون ما يَرضى المُحبُّ من الحبيبِ
فنعمْ هبيني مُذْنِبا فتجاوزي لي عن ذُنُوبي

م.ن: ٤٥.

وقوله:

بأبي أنتِ قد صدقتِ أنا المُذْ نبُ غَفْرا لمن يُسيءُ الذُنوبا
إسمعي ما أقولُ ثمّ اصْنِعي ما شئتِ وارعَيْ فقد رعيتُ المَغيبا

م. ن: ٤٣، وظ: ٢٦، ٥٢.

بل إنه كان أحيانا يقر بذنب قد أتته هي، ولكنه يرتضي لنفسه هذا الإقرار خشية هجرها وصدودها، فيقول:

أحَلْتِ عليّ الذّنبَ لمّا مَلَلْتِني وغيري لو أنصفْتِ قد رَكبَ الذّنبا
أُقرُّ لكُم بالذّنب منّي مخافةً من الهَجْرِ لما رُمْتِ أنْ تُخلفي الحّبا

م. ن: ٤٤.

(٣١) م.ن: ٣٢.

(٣٢) طوق الحمامة في الألفة والألاف: ٦٩.

(٣٣) ديوان العباس بن الأحنف: ١٢.

(٣٤) ينظر في ذلك فقرة (البوح بحبها) من البحث نفسه.

(٣٥) لعل ابن الأحنف كان متيقنا من أن رضا محبوبته هو أمر طارئ في سلوكها، وأن الغضب والسخط هو ديدنها الذي لا تحول عنه، فيقول:

ما كنتُ - أيامَ كنتِ راضيةً عنّي - بذاكَ الرِّضا بمُغتبطِ
علْما بأنّ الرّضا سيتبعُهُ منكِ التجنّي وكثرةُ السّخطِ
وكُلُّ ما ساءني فعنْ خُلُقٍ وكُلُّ ما سرّني فعنْ غَلَطِ

م. ن: ١٦٨.

وقوله:

باللّه يا غضبانُ إلاّ رضيتْ أحافِظٌ للعَهْدِ أمْ قدْ نَسيتْ؟
الم تكنْ مِنْ قبلُ عاهدتَني أنّكَ لا تهجُرني ما حييتْ؟

م. ن: ٦٩، وظ: ١٩ - ٢٠.

بل إن غضبها قد ترسخ في ذهنه فراح يهيمن عليه في اليقظة والمنام،ومن ثم كان هجرها كذلك، فيقول:

أشـــــكو إلى الله أنّ لـــــي ســـــكناً أبصرتـــــهُ في المنـــــامِ غضـــــبانا

.....

أبصرتُـــــهُ مُعرِضـــــا فيـــــا عَجَبـــــاً يَهْجُرُنـــــي نائِمـــــاً ويقظانـــــا

م. ن: ٢٦٢.

(٣٦) ظ: لسان العرب: مادة (صدق)، ولم يكن العباس بن الأحنف بدعا في تسمية حبيبته بهذا الاسم (الصديق)، فقد وردت هذه التسمية في شعر جميل بثينة في قوله:

كـــأنْ لم تُحـــاربْ يـــا بُـــثينَ لَـــوَ انّـــهُ تكشّـــفَ غُمّاهـــا وأنـــتِ صَدِيـــقُ

شرح ديوان جميل بثينة: ١٣٥.

كما وردت في شعر كثير عزة في قوله:

ليـــاليَ مـــن عـــيشٍ لهوْنـــا بوجهِـــهِ زمانـــاً وسُـــعْدى لي صـــديقٌ مواصِـــلُ

شرح ديوان كثير عزة: ١٥٨.

(٣٧) ورد في شعر ابن الأحنف ما يؤكد مخاوفه من صدق مشاعر محبوبته تجاهه، وإمكان تغيرها؛ لذا وجدناه يطالبها بأن يكون قولها مقرونا بفعل يشي بما تدعيه من ذلك الحب والشوق، فيقول:

لـــو كنـــتِ صـــادقةً كمـــا أخـــبرتِني لرأيـــتُ منـــكِ علـــى الصّـــفاء دلـــيلاً

لسْـــنا نصـــدّقُكُمْ ولـــوْ أخـــبرتُمُ حـــتى نـــرى فِعْـــلا يُصـــدّقُ قِـــيلا

ديوان العباس بن الأحنف: ٢٢٦.

(٣٨) المرأة في الشعر الجاهلي: ١٢٣.

(٣٩) ديوان العباس بن الأحنف: ١٤، الموارب: المخاتل، المخالب: الذي يخادع المرء عن نفسه ويسلبه عقله.

(٤٠) الحب بين تراثين: ٩٤، وقد بدت في شعر ابن الأحنف ملامح ذلك الحب، ولعل من أهمها السهر والتسهيد، فيقول:

تنـــامينَ لا تـــدرينَ مـــا ليـــلُ ذي هـــوىً ومـــا يفعـــلُ التّســـهيدُ بالهـــائِمِ الصَـــبّ

سَـــلي عـــن مبـــيتي مَـــنْ رأى ذلـــك الـــبَلا فبـــاتَ مَبـــيتي في عَـــذابٍ وفي كَـــرْبِ

ديوان العباس بن الأحنف: ٢٥، وظ: ١٠٢، ٢٨٣.

وقد يجتمع التسهيد والبكاء معا بسبب من فراقها؛ لذلك وجدناه يتهلل (أهلا وسهلا) بصرمها المتأتي من دلالها؛ لأنه يأمل في عزوفها عن ذلك الصرم والفراق، ومعاودة وصله من جديد، فيقول:

فِـــراقُكِ كـــان أولَ عهـــدِ دمعـــي وآخِـــرَ عَهْـــدِ عـــيني بالرّقـــادِ

فلـــمْ أرَ مثـــلَ مـــا ســـالتْ دُمـــوعي ومـــا راحـــتْ بـــه مـــن سُـــوءِ زادِ

أبيـــتُ مـــسّهدا قلِقـــاً وِســـادي أخفّـــفُ بالـــدّموعِ عـــنِ الفـــؤادِ

م. ن: ١٠٣.

ولاسيما أن أي عاشق يسعى جاهدا إلى وصال من يحب ونيل رضاها، والتقرب منها، وقد صرح ابن الأحنف في شعره بهذه الرغبة الملحة، على الرغم من صعوبة تحققها أحيانا، فيقول:

قـــد كنـــتُ أرجـــو وصـــلكُمْ ... فـــظللْتُ مُنقطِـــعَ الـــرجاءِ

أنـــتِ الـــتي وكّلـــتِ عيْـــ ... ـــي بالسّـــهادِ وبالبكـــاءِ

م. ن: ٥.

(٤١) هناك حقيقة قد أكدها ابن الأحنف في شعره، تبرز الحال التي يعيشها، وهي خضوعه التام لمحبوبته، وهيمنتها الواضحة على مشاعره وأحاسيسه، ولم يكتف بأن تكون هذه حاله بل راح يسبغها على الجميع فيقول:

ولقـــد قلـــتُ والهُمـــومُ رُكـــودُ ... ودُموعـــي علـــى الـــرِّداءِ تَجُـــودُ

يـــا بنـــي آدمٍ تعـــالَوا تُنـــادي: ... إنّمـــا نحـــنُ للنّســـاءِ عَبيـــدُ

م. ن: ٧٨.

(٤٢) ظ: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: ٢٣٩.

(٤٣) ديوان العباس بن الأحنف: ٣٣.

(٤٤) ظ: لسان العرب مادة (هوا).

(٤٥) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: ٣٣.

(٤٦) ديوان العباس بن الأحنف: ٧٧، وظ: ١٣١، ٢١٧، ٢٢١، ٢٦٨.

(٤٧) ورد الفعل (غيّر) في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ النساء / ١١٩، فالتغيير هنا إنما يكون بتشقيق آذان الأنعام أو بقطعها، مع بقاء الأنعام على حالها من دون استبدال. ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٦٩/٣ - ١٧٢، أما الفعل (بدّل) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء / ٥٦، فالتبديل هنا هو أن يوضع أحد الشيئين مكان الآخر، أي أن الله تعالى يجدد لهم جلودا غير الجلود التي احترقت، كما ورد مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف / ٩٥، أي أن الله تعالى يرفع السيئة، ويضع الحسنة مكانها، ظ: م. ن: ٩٥/٣ - ٩٦، ٤/ ٢٧٥ - ٢٧٦، وظ: النحل /١٠١.

(٤٨) ظ: طوق الحمامة في الألفة والألاف: ٦٦، ١٤٢، لم يقتصر أثر الوشاة على صدود محبوبته عنه، بل كان لهم دور كبير ومؤثر في ما كان يصدر عنها من عتاب له، فيقول:

ولقـــد أقـــولُ لـــه ودمعـــي مُسْـــبَلُ: ... فيمـــا عتبـــتَ علـــيّ عَتْـــبَ الواجـــدِ؟

ألقـــولِ واشٍ ظالـــمٍ أقصـــيتني ... - نفســـي فِـــداؤكَ - أم لِـــذنبٍ واحِـــدِ؟

ديوان العباس بن الأحنف: ٩٢ - ٩٣، وظ: العتاب في شعر العباس بن الأحنف - دراسة في المضمون (بحث): ٢٥ - ٢٦.

(٤٩) ديوان العباس بن الأحنف: ٩٧.
(٥٠) طوق الحمامة في الألفة والألاف: ٧٢.
(٥١) م. ن: ٧٢.
(٥٢) ديوان العباس بن الأحنف: ٢١٦.
(٥٣) معاني النحو: ٤ / ٢٧٥.
(٥٤) الغزل في الشعر الجاهلي: ١٩٣.
(٥٥) ديوان العباس بن الأحنف: ٢٧٧، وظ: ٣٦.
(٥٦) م. ن: ١٤٠.
(٥٧) م. ن: ١٣٥.
(٥٨) ونجد نظير هذا الحوار الذي يبرز الحال التي تكتنف الشاعر، والعذاب الذي يهيمن عليه في قوله:

إذا مـــا ذكـــرتُ الهَجْـــرَ للقلْـــبِ لم يَـــزَلْ ... يُعـــذّبُني بالسّـــيرِ طَـــوراً وبـــالوَقْفِ

م. ن: ١٨٤.
(٥٩) لقد أكّد ابن الأحنف هذا المعنى بقوله:

ولـــو كـــانَ قلـــبي طائعـــاً لي قلاكُـــمُ ... ولكـــنْ عصـــاني فهـــوَ أشـــقى بكُـــمْ جَـــدّا

وقـــد كنـــتُ أهـــوى صَـــرْمكُمْ لـــو أطقْتُـــهُ ... ولكِـــنّ قلـــبي لـــم يَجِـــدْ مـــنكُمُ بُـــدّا

م. ن: ٩١.
(٦٠) لقد سعى العباس بن الأحنف جاهدا إلى إخفاء ما ينتابه من ألم الوجد والصبابة، وإبراز الصبر والتسلي عن الشكوى من جراء هجر محبوبته، فيقول:

أهابـــكِ أنْ أشـــكو إليـــكِ ولـــيس لي ... يـــدٌ بالـــذي ألقَـــى وأُخفـــي مـــن الوجـــدِ

.....

ســـأصْبِرُ لا أشـــكو إليـــكِ وأكتفـــي ... بِعلمِـــكِ أنّـــي قـــد بُليـــتُ مـــن الصّـــدِّ

م. ن: ٨٥. و ظ: ١٠٠.
(٦١) ورد في شعر ابن الأحنف ما يشير إلى أنه غالبا ما كان يوازن بين هجر محبوبته له، وهجره لها ووقوفه حائرا أمام تلك الحال، ولعل الذي جعله حائرا هو أن الحالين أشد من بعضهما، فكلاهما يحمل مرارة الألم والأسى فيقول:

وفـــي العشـــق كأســـان مسْـــمومتا ... ن طَعمُهمـــا الصّـــابُ والعلقـــمُ

فإحـــداهُما كـــأسُ هجـــرِ الحبيـــبِ ... وكـــأسُ الفـــراقِ هـــيَ الصّـــيلمُ

م. ن: ٢٤٠، الصاب: شجر مرّ، واحدته صابة، وقيل هو عصارة الصّبر، الصيلم: الداهية، أو الأمر الشديد أو القطيعة، ظ: لسان العرب: مادة (صوب) و(صلم).
من هنا وجدناه يترجح بين الإقدام على الهجر و الإحجام عنه، فيقول:

أُهُـــمّ بـــالهَجْرِ أحيانـــاً وأقتـــرفُ ... فليـــتَ شـــعري أأمضـــي فيـــهِ أمْ أقـــفُ

علّمـــتِ عـــيني بُكـــاً لـــم يَبْكِـــهِ أحـــدٌ ... مـــن كـــلّ شُـــفْرٍ بعـــيني دمعـــةٌ تكِـــفُ

م. ن: ١٨٥، اقترف: أتى الشيء وفعله، ظ: لسان العرب: مادة (قرف)، الشفر: مغرز الشعر في جفن العين، ظ: لسان العرب: مادة (شفر).

ويبدو أن هذا الترجح نابع من عدم امتلاكه لزمام مشاعره وأحاسيسه، فضلا عما يكنه من شوق لمحبوبته، ومن ثم عدم الاطمئنان لنوازع نفسه ورغباتها، فيقول:

أجـــرّبُ بـــالهجران نفســـي لعلّهـــا ... تفيـــقُ فيـــزداد الهـــوى حـــين أهجـــرُ

وأعلـــمُ أنّ الـــنفسَ تكْـــذِبُ وعـــدَها ... إذا صـــدقَ الهجْـــرانُ يومـــاً وتَغـــدِرُ

م. ن: ١٢٢. و ظ: ٥.

(٦٢) الحب العذري نشأته وتطوره: ٨١.

(٦٣) يبدو أن الصبر الذي افتقده ابن الأحنف كان جزءا من تكوين محبوبته ومزية لها؛ لذا نجده يتمنى أن يمتلك تلك المزية، فيقول:

هجـرتِ ومـا أقـوى علـى الهجْـران سـاعةً ... ألا ليـتَ قلـبي مِثـلَ قلبـكِ صـابِرُ

م. ن: ١٤٤.

(٦٤) م. ن: ١٤٨،وظ: ١٢٨، ١٢٢.

(٦٥) هي حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط، أي امتناع حصول الجواب لامتناع حدوث الشرط. ظ: المعجم الوافي في أدوات النحو: ٢٨٨.

(٦٦) يأتي الوزن (افتعل) للدلالة على معان عدة من بينها الاجتهاد والطلب والمبالغة في معنى الفعل. ظ: شذا العرف في فن الصرف: ٨٠ - ٨١.

(٦٧) ديوان العباس بن الأحنف: ٨١.

(٦٨) يبدو أن ابن الأحنف قد تحمل من صاحبته عذابات شتى، بيد أن الهجر كان من أشدها وقعا على نفسه، فيقول:

سَلَبتْنـــي مـــن السّـــرورِ ثِيابـــا ... وكَسَـــتني مـــن الهُمـــوم ثِيابـــا

كُلّمـــا أغلقـــتْ مـــن الوصْـــلِ بابـــا ... فتَحـــتْ لي مـــن المَنيّـــةِ بابـــا

عـــذّبيني بكُـــلّ شـــيءٍ ســـوى الصـــ ... ـــدّ فمـــا ذُقـــتُ كالصـــدُودِ عَذابـــا

م. ن: ٦١.

(٦٩) م. ن: ٢٢٦.

(٧٠) لقد عبر ابن الأحنف عن هذا المعنى بشكل صريح قائلاً:

وانّ أحَـــقّ النـــاسِ أنْ يَكثُـــرَ البُكـــا ... عليـــهِ قتيـــلٌ لـــيس يُعـــرَفُ قاتلُـــهْ

يَعـــودُ مـــن الهجـــران أنْ يَكتـــوي بـــه ... فلـــمْ أرَ إلا المـــوتَ شـــيئا يُعادِلُـــهْ

م. ن: ٢٢٩.

(٧١) م. ن: ٢٦٧. و ظ: ٥٣.

(٧٢) لقد بين الشاعر أنه قد ظلّ ملتزما بالعهد الذي قطعه على نفسه تجاه محبوبته على الرغم من حال الهجر الذي وقع بينهم، فيقول:

إنّـــــي وإنْ أظهـــــرْتُ هِجرَانَهـــــا ... وطـــــالَ شَـــــوقي وصَبابـاتـــــي

.....

لحـــافِظٌ مـــا كـــانَ مـــن عَهْدِهـــا ... أصـــــدُقُها في كُـــــلّ حَالاتـــــي

م. ن: ٦٨. و ظ: ٢١٤.

(٧٣) ورد في شعره ما يشي بعدم الوفاء بعهدها وشدة تألمه من جراء ذلك، فيقول:

أبكـــي الـــذينَ أذاقونـــي مَـــودّتَهُمْ ... حـــتى إذا أيقظـــوني للـــهوى رَقَـــدُوا

.....

جـــاروا علـــيّ ولم يُوفـــوا بِعَهْـــدِهِمُ ... قـــد كنـــتُ أحسَـــبُهُمْ يُوفـــونَ إنْ عَهِـــدوا

م. ن: ٨٤. و ظ: ٤، ٦٩.

(٧٤) م. ن: ١٣٤. و ظ: ٢٧٥.

(٧٥) على الرغم من أن ابن الأحنف كان مستاء من مللها هذا، وغير راض عن سلوكها تجاهه؛ إذ نراه يقول:

ألا لـــيت شِعـــري مـــا أقـــولُ ... وقـــد ضَـــنّ الحبيـــبُ فمـــا يُنيـــلُ

جفـــاني ثـــم وَلّـــى ظالمـــاً لي ... وفي صَـــدْري لـــه حُـــبٌّ دخيـــلُ

لأسْـــرَعَ مـــا مَلِلْـــتِ - فـــدتك نفســـي - ... وخُنـــتِ ولـــيس يُعجِـــبُني المَلـــولُ

م. ن: ٢١٨ - ٢١٩.

بيد أنه لم يكن يمتلك صبرا على مجافاتها والبعد عنها، فيقول:

سُـــبحانَ مـــن خَلَـــقَ المَلـــولَ مَلـــولا ... لا يســـتطيعُ إلـــى الـــوِدادِ سَبيـــلا

لـــو كنـــتُ أصـــبِرُ مـــا كتبـــتُ صَـــحيفةً ... يومـــاً إليـــكِ ولا بعثـــتُ رســـولا

م. ن: ٢٢٠.

(٧٦) م. ن: ١٣٦.

(٧٧) م. ن: ٥٩.

(٧٨) م. ن: ٧٤. ويبدو أن ابن الأحنف كان موقنا من أن البعد عن المحبوبة - مجاراة للكاشحين - وإضمار الحبّ لها، أولى من التقرب منها وما قد ينجم من جراء ذلك التقرب - بسبب من هؤلاء الكاشحين أنفسهم - من هجر وفراق يعقبه بغض وكره، فيقول:

لتَركـــي لكـــم والـــوُدُّ فيـــهِ بَقيّـــةٌ ... أُؤمّلُهـــا والحَبْـــلُ لمْ يَتقضّـــبِ؛

أحـــبُّ لِنفســـي مِـــنْ فِـــراقٍ علـــى قِلـــى ... وقـــد فـــاتَني مـــن وُدّكـــم كـــلُّ مَطْلَـــبِ

م. ن: ٥٩.

من هنا وجدناه يصرح بهجرها متعمدا ليصرف أنظار الناس عنها، ومن ثم تشتيت انتباههم عن حقيقة علاقتهم، فيقول:

وأهجرُ عمداً كي يُقالَ: لقد سلا ولستُ بسالٍ عن هواكِ إلى القَبْرِ

ولكنْ إذا كانَ المُحِبُّ على الذي يُحبُّ شَفيقاً غافَلَ النّاسَ بالهَجْرِ

م. ن: ١٣٣.

(٧٩) م. ن: ٩٩.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اتجاهات الشعر في العصر الأموي، د. صلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي - القاهرة، مطبعة المدني - القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، د. يوسف حسين بكار، دار المعارف - مصر، ١٩٧١م.
- تاج العروس (شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس) - الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني ت ١٢٠٥هـ)، منشورات دار الكتب مكتبة الحياة - بيروت، (د.ت).
- جميل بثينة، عباس محمود العقاد، دار الشعب - القاهر، (د. ت).
- الحب بين تراثين (التروبادورز الفرنسيون والعشاق العذريون)، ناجية مراني ، الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
- الحب العذري نشأته وتطوره، أحمد عبد الستار الجواري، دار الكتاب العربي - مصر، ١٩٤٨م.
- الحب في التراث العربي، د. محمد حسن عبد الله، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٧٨م.
- الحب المثالي عند العرب، د. يوسف خليف، ضمن مجموعة وحدة العرب، دار المعارف - مصر، ١٩٦١م.
- ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

ـ الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ ، دار الرشيد للنشر- بغداد ١٩٨٢م. ـ شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي (أحمد بن محمد بن أحمد ت ١٣١٥هـ) قدم له وعلق عليه: د. محمد بن عبد المعطي، خرج شواهده ووضع فهارسه: أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع (د. ت).

ـ شرح ديوان جميل بثينة، شرح وتحقيق: عدنان زكي درويش، دار الفكر العربي ـ بيروت ط٣، ٢٠٠١م.

ـ شرح ديوان كثير عزة، شرح وتحقيق: د. رحاب عكاري، دار الفكر العربي ـ بيروت،ط١، ١٩٩٦م.

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (إسماعيل بن حماد ت ٣٩٣هـ)، حققه وضبطه: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

ـ طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ)، ضبطه ووضع حواشيه وفهرس له: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان،ط٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

ـ العباس بن الأحنف، د. عاتكة الخزرجي، سلسلة دراسات، دار الحرية للطباعة ـ بغداد، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

ـ العشاق الثلاثة، زكي مبارك، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١، (د.ت).

ـ الغزل في العصر الجاهلي ـ د. أحمد محمد الحوفي، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٣٨١هـ ـ١٩٦١.

ـ لسان العرب – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ت ٧١١هـ) ، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان، ط٣، (د.ت).

ـ المرأة في الشعر الجاهلي ـ د. أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة، ١٩٨٠م.

ـ معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان،ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

ـ المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. علي توفيق الحمد، يوسف جميل الزعبي، دار الأمل ـ الأردن، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م.

ـ الأبحاث:

ـ العتاب في شعر العباس بن الأحنف ـ دراسة في المضمون، د. حسين عبد حسين حمزة، مجلة جامعة كربلاء العلمية، المجلد الثامن ـ العدد الثاني، ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٠م.